

Research Africa Reviews Vol. 3 No. 1, April 2019

These reviews may be found on the *RA Reviews* website at:

<https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/volume-3-issue-1-april-2019/>

الشيخ موسى كمر، *الفصل التاسع من "أكثر الراغبين"*: في محبة رؤساء فرانس لي، تحقيق: أحمد الشكري وخدم امباكي، تقديم: أحمد الشكري، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة نصوص ووثائق (13)، 2016م، ص 66.

راجعه: عثمان جُو

بقدر ما يشعر المرء بالفرح والسعادة لدى صدور أيّ تحقيق لواحد من مخطوطات الشيخ موسى كمر باللغة العربية؛ يتأبه كذلك شعور بالتوجس والخوف إزاء مستوى المعاملة العلمية المنضبطة التي يلقاها في هذا التحقيق نفسه. والحال أن مخطوطات دفين كُنْغِيل؛ خصوصا ما يندرج منها في علوم التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا؛ يتطلب العمل عليها ثقافة تاريخية رصينة عن منطقة فوت ثورب الوادي الأوسط لِنَهْر السِّنْغَال؛ أرضا ومجتمعاً وبيئاً، وبلغة اليُولَار [Pulaar] التي يتحدّث بها أهلها؛ علاوة على حسن التعامل مع الدقائق الكويكولوجية التي تطرحها الأبعاد المادية لمخطوطاته؛ وما أكثرها.

ومهما كانت الجاذبية الدافعة إلى اقتحام مجال تحقيق مخطوطاته قويّة ومُغريّة؛ فإن توفّر قدرٍ معقول من تلكم الشروط (في الفرد أو المجموعة التي تضطلع بعِبء التحقيق)؛ هو الضمان الأول لخروج النص المُحقّق سليماً، معافى؛ يملك قدراً وجيهاً من أسباب البقاء؛ يمكن لأهل الاختصاص وعموم الباحثين وعمامة القُرّاء أن ينتفعوا به.

هذا؛ ويُعتبَرُ هذا العمل الذي أخرجته لنا الأستاذان أحمد الشكري وخدم امباكي تيمّةً أو خاتمةً لمخطوطٍ حقّقاه، وأصدراه عام 2003م؛ وهو: (أكثر الراغبين في الجهاد من يختار الظهور، وملك البلاد، ولا يبالي فيمن هلك في جهاده من العباد)؛ إلا أن هذه الخاتمة التي استنتجها أنيذ من الكتاب لعَلَتين: أولاهما: بُعد ما بينها وبين فصول الكتاب من صلة؛ إذ تتضمن أخباراً تتعلق (بقضايا شخصية - عائلية) (ص: 11) تدخلها في صلب السيرة الذاتية للمؤلف؛ ولم يجد مسوّغاً موضوعياً؛ يقتضي وجودها هناك؛ فحكما باستبعادها؛ مُرَجِّحِينَ كتابة الشيخ موسى إياها بعد انتهائه من تأليف فصول الكتاب الثمانية؛ وكونها عملاً مستقلاً أُلْحِقَ بالكتاب بعد ذلك. والعلّة الثانية: سبق الأستاذ عامر صمب إلى استثناء الخاتمة من الكتاب أثناء ترجمته لـ(أكثر الراغبين) إلى الفرنسية عام 1976م.

والحق أن هناك شاهدين آخريّن قويين جدا يؤكدان صيرورة هذا التعليق: فقد وقف الأستاذ الجليل عبد الله جنيدي¹ على نسخةٍ للسيرة الذاتية للمؤلف تبشّير الخائف الحيران وتذكيره بسعة رحمة الله الكريم المنان؛ ألحق بها هذه الخاتمة: (فصلٌ في محبة رؤساء فرانس لي)²، ونسب هذه الفعلة إلى (يَدِ ذِكِّيَّة) قَدَرَتْ أن

1. انظر مقالته عن [الشيخ موسى كمر وتأملاته في ممارسة السلطة في فوت ثور]:

- Abdellah Djenidi, «Un théoricien de l'anti-jihād : le sénégalais Cheikh Musa Kamara (1863-1945)», *Annales de la faculté des lettres et sciences humaines, Université de Dakar*, n°: 14, 1984, p. 237.

2. عبد الله جنيدي: جزائريٌّ مبرز في اللغة العربية، ترأس في سبعينيات القرن الماضي قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دكار، وكان أول باحثٍ يكرّس للشيخ موسى كمر، ومؤلفاته موضوع أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة من جامعة دكار. وقد سجل مشروعه عام 1968م، وتحت إشراف فينسان مونتيي [Viencent Monteil] مؤسس قسم اللغة العربية بالجامعة المذكورة. وكان مونتيي [Monteil] يعول عليه وعلى مشروعه البحثي كثيرا للوقوف على حقيقة أصالة إنتاج الشيخ موسى كمر؛ خصوصا كتابه: زهور البساتين. نشر ثلاثة مقالات تحليلية عن

كتاب تبشير الخائف... أولى وأليق بالفصل من أكثر الراغبين.... ولنا أن نتساءل: أيكون هذه اليد غير يد الشيخ موسى؟! والشاهد الآخر أن مكتبة الشيخ كَمَر بـ كُنْـ كَـيْل³ تحتفظ بنسخة من الكتاب مؤرخة بعام 1933م. وسيكون من الأهمية بمكان لو قارن باحث بين هذه النسخة وتلك المحفوظة في المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء-إيفان لاستجلاء الفروق، والوقوف على الزائد أو الناقص من هذه أو تلك. والدلالة المستخلصة من الشاهدين أن للكتاب -على الأقل- إبرازَين⁴: أولاهما: مؤرخة بعام 1933م، ولعلها هي المسوَّدة الأولى للكتاب. والثانية؛ هي التي وصلت إلى (إيفان)، وألحق بها فصل في محبة رؤساء فرانس لي خاتمة أو كَالخاتمة له⁵؛ على حدّ تعبير الشيخ موسى؛ وهي النسخة اللاحقة. ولمثل هذا الاعتبار نرى عدم التسرع في القطع بكون نسخة إيفان هي مسوَّدة المؤلف، وأنها بخط يده شخصياً، فالمسألة لا تعدو أن تكون: مسألة إبرازة في تاريخ محدد (1933م)، وإبرازة أخرى في تاريخ غير محدد يمكن الاعتماد على قرائن لتحديد فترته المحتملة؛ كما فعل المحققان حين توصلا إلى قرينة ترجم الشيخ موسى على هنري غادين [Henri Gaden] المتوفى عام 1939م، في آخر موضع ورد فيه اسمه في الفصل التاسع، فجعلها دليلاً يرجح تأليف هذه الخاتمة إلى مرحلة لاحقة لوفاة غادن [Gaden] في السنين الخمس الأخيرة من حياة الشيخ موسى كمر [ت: 1945]. والحقيقة التي تجعلنا متحفظين إزاء هذا التسرع؛ هي أن الشيخ موسى كان يستخدم فريقاً من التّسّاخين في مدرسته بـ كُنْـ كَـيْل؛ يضطلعون بأعباء نسخ مؤلفاته أو تعديدها أو تبييضها كلما دعت الحاجة. ولأجل ذلك نرى إمكان القطع بانتساب مخطوطة إليه، وصدورها منه؛ دون جزم قاطع بكونها بخط يده⁶.

الشيخ موسى ونتاجه الفكري، ورابعة متعلقة به جزئياً؛ (ستجدها في بيبليوغرافيا المراجعة)؛ غير أنه لم يناقش أطروحته؛ لسبب لا نزال نجهله. انظر:

-Vincent Monteil, «Les manuscrits historique arabo -africains», Bulletin de l'Institut Fondamental d'Afrique Noire, tome, XXXVII, Série B, n° : 3-4, 1965, p. 540.

وانظر:

-Chronique du monde arabisant in : Arabica, Tome XVI, Juin 1969, Fascicule 2, p. 221.

3 . مؤل الإيسكومشروعا لفهرسة مكتبة الشيخ موسى كمر بـ كُنْـ كَـيْل بإشراف الكوديكولوجي الخبير د. دمبا تَوْ [Demba Towe]، وتعاون خليفة أسرة الشيخ موسى كمر تشيرن بشير كَمَر. وتوصلوا إلى فهرسة حوالي أربعمئة مجلد من مخطوطات المكتبة ومطبوعاتها؛ من بينها حوالي خمسين عنواناً من مؤلفات الشيخ موسى.

4 . تستحق مسألة تكرار الإبرازات في مخطوطات الشيخ موسى كمر دراسة كوديكولوجية مستقلة؛ تقر بها خاصية عند المؤلف، وتعالج إشكالاتها لدى العمل عليها. ولعل الفريق البحثي المتعدد الاختصاصات والكفايات التي أشرف عليه الأنثروبولوجي الفرنسي جان سميتز [Jean Schmitz] أثناء إعداد الجزء الأول من ترجمة زهور البساتين لعل هذا الفريق قد حقق في هذا المجال ما لم يبلغه بعد أي تحقيق عربي لمؤلفات الشيخ موسى. وإنه لمن الطريف حقا أن تجد ترجمة تستوفي شروط التحقيق العلمي في أدق صورته. انظر:

-Shaykh Muusa Kamara, Florilège au jardin de l'histoire des Noirs : « Zuhūr al-basāfīn », Tome I. Volume I : L'aristocratie peule et la révolution des clercs musulmans (vallée du Sénégal). (Sous la direction et avec une introduction de) Jean Schmitz, avec la collaboration de Charles Becker, Abdoulaye Bara Diop, Constant Hamès, Oumar Kane, Olivier Kyburz, Olivier Leservoiser, David Robinson, Ibrahim Sall et Jean-Louis Triaud. (Traduction de) Saïd Bousbina, Paris, Institut de Recherche et d'Histoire et des Textes (IRHT), collection : « Documents, études et répertoires », CNRS Editions, 460 p.

5 . (ثم فضل كالأخامة في محبة رؤساء فرانس لي). انظر: الشيخ موسى كمر، أكتُر الرّاعبين في الجهاد بعد النّبيين من بختار الطهور، ومُلك البلاد، ولا يُبالي بمن هلك في جهاده من العباد، تحقيق وتقديم: خديم امباكي، وأحمد الشكري، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة نصوص ووثائق (11)، جامعة محمد الخامس-السويسية، الرباط، 2003م، ص: 26.

6 . يؤكد هذه الحقيقة أبو كَبَا توري؛ (نقلا عن أحمد الحبيب ابن الشيخ موسى) في دراسته عن إنتاج الشيخ موسى كَمَر (1991م)، ويذكر منهم خطاطا متميزا يحمل اللقب العائلي جُوب. أما أبو بكر خالد باه؛ فقال بصريح العبارة في كتابه المصدر في سيرة الشيخ موسى كمر؛ أن الشيخ موسى (كان يؤجر خطاطين لنسخ كتبه، وتعددها [ها]، وتكثيرها)، وذكر من هؤلاء: (تشيرن أحمد لمين كُفي قرية دُوليُلموريتانيا، وتشيرن بوبكر مسي، ومريده وصهره محمد دبا ليمن مدينة جُولالموريتانية).

-Abu El Kaba Touré, l'oeuvre de Cheikh Moussa Kamara, texte inédit, 1991, p. 3.

وانظر:

-أوبوكر خالد عمر عمر باه، من أعلام الثقافة: الشيخ موسى كمر: العالم المؤرخ للشعوب الإفريقية الغربية الإسلامية، بحث مرقون محفوظ في مكتبة الشيخ موسى كمر بـ كُنْـ كَـيْل. > 1982م، (نسخة مصورة شخصية)، ص: 34.

وباستقراء هذه الظاهرة؛ أي: ظاهرة وضع الشيخ موسى خواتم لمؤلفاته؛ تبدو صلتها بموضوع الكتاب الأصلي واهية غير قوية أو غير مسوغة؛ للوهلة الأولى؛ تكشف لنا أنها تكررت في عدة مصنفات له، وأنها أقرب إلى الأسلوب المحبب عنده في التأليف؛ ينتهجه متى اقتضته الأحوال. ففي زهور البساتين في تاريخ السوادين-مدونته التاريخية الكبرى-جعل خاتمة الكتاب موضوعاً قريباً جداً من محتوى أكثر الراغبين؛ ومتوافقاً معه في كثير من النقول التي يستشهد بها؛ سماها: (خاتمة في نهى الإخوان عن التصدي للجهاد، وعن ادعاء المهديّة الموعودة في آخر الزمان)7. وفي تنقيح الأفهام من شبهات الأوهام أو سلامة المسلم منوطاً بترك الكذب والكبر وقطيعة الرحم؛ جعل الخاتمة أو (خاتمة الخاتمة) (في سبقية تملك السودان للفنان، واحتقار السودان للفنان، وهكذا احتقار كل من ساعده الدهر لغيره من الأمم)8. وفي أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر؛ أنهى الكتاب بخاتمة عن فضل الحاج عمر على الفوتيين؛ سماها: (ومن فضائله كونه غوثاً وغيثاً لأهل فوت تور؛ حيث إنه أخذ لهم ثأرهم، وانتقم لهم من أعدائهم مسل)9.

وفي سياق الحديث عن هيكلية الفصول وبنية الكتاب، وقفنا على مقولة غريبة جداً لأحد المحققين؛ وهو الأستاذ أحمد الشكري-المنفرد بكتابة تقديم الكتاب دون زميله الأستاذ خديم امباكي-، تفيد بصريح العبارة- أن:

(عملية تبويب التأليف أو تقسيمه إلى فصول مع تسميتها؛ لم تكن من العادات الجارية في التأليف لدى السودان إلى حدود ملتقى القرنين 19 و 20م)، وأنه يعتقد (مثل غيره من الباحثين-أن اجتهاد كَمَر وعمله على استعراض عناوين الأبواب أو الفصول التي سيضمها مؤلفه أثناء كل تقديم؛ إنما هو عمل جاء بتأثير من بعض المستعربين الفرنسيين الذين صادقهم مؤلفنا واحتك بهم).

ألا ما كان أجدد بأستاذنا المؤرخ المحقق أحمد الشكري-وهو ابن الثقافة العربية الإسلامية-أن يناهى نفسه عن تبني رأي المؤرخ الأمريكي الضاليع ديفيد روبنسون [David Robnison] في هذه المسألة. ذلك أنه الأوسع اطلاعاً على سمات التدوين وخصائصه في الثقافة العربية الإسلامية منه، وأدرى كذلك باشتغال المصنفات العربية على قدر واف من (التبويب والتنظيم والتنسيق، وتسمية الأبواب) منذ استقرار التدوين في الثقافة العربية الإسلامية من عدة قرون مضت. وتخصيصه المؤلفين السودانيين الغربيين بجهل هذه الأبجديات في التأليف حتى القرن العشرين؛ إقرار منه ضمناً بعدم وصول التراث الإسلامي إلى مراكز بلاد السودان (وهو افتراض يقول بخلافه التاريخ والواقع الراهن)؛ بل جهل أو تجاهل منه بعدد كبير من مؤلفاتهم المشتملة على هذه الخصائص التأليفية. ويكفي الوقوف على مؤلفات الشيخ عمر الفوتي، وآل عثمان دان فوديو، (الشيخ عثمان دان

7 . انظر: الحاج موسى أحمد كامره [=كَمَر]، زهور البساتين في تاريخ السوادين>: مدونة شعوب غرب إفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تقديم وتحقيق وتعليق: ناصر الدين سعيدوني (د.)، ومعاوية سعيدوني (د.)، مؤسسة سعود الفيصل البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010م، صص: 747-761.

8 . انظر: الشيخ موسى كمر، تنقيح الأفهام من شبهات الأوهام، أو سلامة المسلم منوطاً بترك الكذب وقطيعة الرحم؛ أو تاريخ "بالألب"...>، (مخطوط محفوظ في المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء-إيفان، خزنة الشيخ موسى كمر، رقم: 7، 50 ورقة، وهو نفس المخطوط؛ حامل الرقم المرجعي: 10، 52 ورقة).

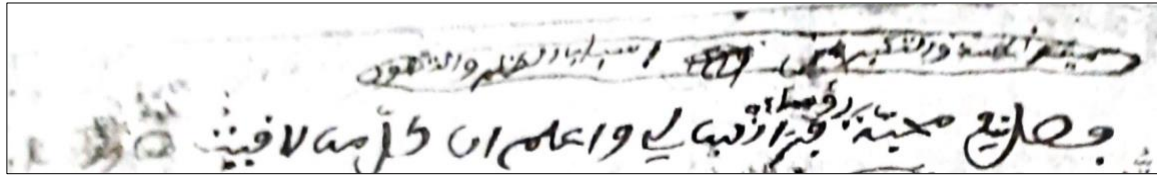
9 . انظر: الشيخ موسى كمر، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر>، تحقيق وتقديم وتعليق: خديم محمد سعيد امباكي، وأحمد الشكري، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة نصوص ووثائق (9) >، جامعة محمد الخامس-السويس، الرباط، 2001م، صص: 161-172.

فُودِيُو وابنه محمد بلو، وأخوه عبد الله فوديو،) وغيرهم في القرن التاسع عشر نفسه دليلاً على بطلان هذا الزعم.

فلنعد إلى محتوى الفصل التاسع؛ لنرى كيف قدّمه وفهمه المحقق أحمد الشكري؟

يلخص الأستاذ أحمد الشكري فحوى الكتاب الذي يشتمل على أربع وعشرين صفحة (أي: 12 ورقة من أصل 48 ورقة؛ هي قوام الكتاب كله) في ثلاث نقاط؛ أولها: تعبير الشيخ موسى وتوثيقه لمشاعر الحب والتقدير المتبادلين بينه وبين رؤساء الإدارة الاستعمارية الفرنسية في السنغال، واعتناءهم به، وتكريمهم إياه، وتبليغه لمطلبهم في التصنيف التاريخي عن بلاد السودان الغربي؛ مما يعكس عنوان الفصل تماماً: (في محبة رؤساء فرانس لي). وثانيها: تعرضه بالذكر المتكرر لحاسد من (أفراد عائلة زوجته حفصة بنت محمود كُن) -ابن أخي زوجته مَمْدُ مَامْدُو محمد المقامي؛ أي: عبد السلام بن محمد المقامي بن محمود كُن: حاكم إقليم دمغًا-؛ يعمل (مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية)؛ يناصر الشيخ موسى وابنه محمداً (عداء وحقدًا)، ومحاولاته المُتكررة في إزائتهما، ونيلهما بسوء، واستنجاد الشيخ موسى بمعارفه وأصدقائه المتنفذين داخل هذه الإدارة نفسها للحيلولة دون تنفيذ هذا الحاسد خططه الرامية إلى استبعاد ابنه محمد كَمَرَمَن بوسطة مَاتَم؛ حيث كان يعمل. وثالثها: وقائع تاريخية تتعلق (بأصل أنساب قبائل فُوت ثور)، وما شهدته هذا الإقليم من تطور سياسي (خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر)؛ خصوصاً (أيام الزعيم عبْدُل بُوكُر كُن¹⁰).

ولنبداً بمسألة عنوان الفصل، قبل العروج على محتواه؛ حسب فهم المحقق. في مطلع الصفحة الأولى من الفصل؛ من المخطوطة نفسها التي استخدمها المحققان؛ عبارة كُنبت ثم أحيطت بخط شبه دائري، كناية عن الحذف (رُبَمَا)؛ تقول: (وسميتها: الحسد والتكبر من أسباب الظلم والتهور) (ص: 33).



ولست أدري كيف فات المحققان هذا العنوان الكاشف المتسبب مع محتوى ما يزيد على نصف هذا الفصل. والظاهر أن المؤلف أراد أحد أمرين: إما أنه أثبت هذا العنوان أولاً، ثم عدل عنه بعد ذلك إلى العنوان الآخر. وإما أنه أراد إثباته مع العنوان الآخر؛ تحقيقاً لأسلوب ازدواجية العناوين التي كان يحبها دائماً؛ ثم اكتفى لاحقاً بالعنوان الآخر. أياً كان الأمر؛ فإن العنوان يكشف عن محور أصيل جداً في الفصل، وهو المظالم والاعتداءات المتهورة لتي أذقتها عبد السلام بن الشيخ محمد المقامي لشيخ موسى وعائلته؛ بل هو المحور الثاني؛ ولا محور ثالث للفصل أصلاً. فما يعتبره المحقق أحمد الشكري حديثاً عن أصل قبائل فُوت ثور، وتعرضاً للوقائع التاريخية التي شهدتها هذا الإقليم في الربع الأخير من القرن التاسع؛ ليس إلا

10. أعتقد أن من مميزات هذه النشرة تعرفها على شخصية عبْدُل بُوكُر كُن>؛ بعد أن كان المحققان يخلطان بينه وبين الإمام عبد القادر كُن (=الأمَام عبْدُل) أثناء تحقيق أكثر الراغبين...>. انظر: الشيخ موسى كمر، أكثر الراغبين في الجهاد بعد النبيين من يختار الظهور، ومَلِك البِلَاد، ولا يُبالي بِمَنْ هَلَكَ في جهاده مِنَ العِبَاد>، تحقيق وتقديم: خديم امباكي، وأحمد الشكري، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة نصوص ووثائق (11) >، جامعة محمد الخامس-السويس، الرباط، 2003م، ص: 28.

استطرادًا عن أصول عبد السلام كن، وأسلافه منذ عهد الإمام عبد القادر كن (= أَلَمَام عَيْدَلْن)؛ فإزلا إلى جيله وجيل أبناء أعمامه. فالسرد متواصل غير منقطع؛ ولا تكفي هذه المساحة الصغيرة جدا لذكر أصول قبائل فوت نور؛ بعد أن أفرغ المؤلف عصارة أبحاثه وتحقيقاته في هذا الموضوع في مدونته التاريخية الكبيرة زهور البساتين في تاريخ السوادين أو انتصار المؤثر في ذكر قبائل فوت نور بين عام 1920 و عام 1924م.

وبعد: فهذه بضعة ملاحظات لا تنقص من قيمة الجهود الذي بذله المحققان في التعرف على الرسم الفرنسي الصحيح للأسماء الإدارية، وأسماء الألقاب أو المناصب العسكرية أو المدنية، أو الإنسية، أو الجغرافية التي ضببت أو عرفت أثناء هذا التحقيق. غير أن التحقيقات العربية لمؤلفات الشيخ موسى كمر - (باستثناء تحقيق الأستاذ الناني ولد الحسين للجزء الأول من المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر السادات البيضانة والفلانية)¹¹ لم ترتق بعد إلى مستوى يوازي أو يبلغ مستوى الترجمات الفرنسية؛ خصوصاً عمل فريق جان سميتز [Jean Schmitz] الذي لبي شروط التحقيق العلمي الرصين؛ رغم كون العمل ترجمة من المخطوط مباشرة؛ أبدت موسوعية معرفية رائعة؛ جعلتها متينة الصلة بترجمة البارون دي سلان [Le Baron de Slan] لمقدمة ابن خلدون التي كان العلامة عبد الرحمان بدوي يفضلها على النص العربي نفسه؛ لتوفر آليات التحقيق النقدي لديه، وإطلاعه الواسع على ما نشر قبله من أبحاث ونصوص وترجمات للكتاب، ووقوفه على عدة نسخ مخطوطة له، وإنشاءه - أثناء الترجمة - جهازاً للتعليقات القيمة؛ يجعل الترجمة الفرنسية (أيسر في الفهم كثيراً من النص العربي نفسه)¹².

Research Africa

Copyright © 2019 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for copy and redistribution of the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the RA Reviews website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.

ISSN 2575-6990

11. الشيخ موسى كمر، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانة والفلانية، الجزء الأول، تحقيق وتعليق: الناني ولد الحسين، الرباط، منشورات الزمن، (سلسلة: شرفات، العدد: 54)، 2015م، 254 ص، [من ضمنها كشافات تحليلية].
12. عبد الرحمان بدوي، مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص: 183-197.